دراسة نقدية لكتاب

"من أخبار القبائل في نجد خلال المدة ٨٥٠ - ١٣٠٠هـ"

أ. تركي القدَّاح العتيبي

إن المتتبع لأخبار القبائل في نجد - وربما في غيرها من أنحاء الجزيرة العربية - يلحظ قلة من دوّن أخبارها وأحداثها رغم كثرتها خلال القرون الماضية، ولا يوجد من دوّن وقائع البدو في نجد خاصة بشيء من الاستطراد سوى مؤرخين متأخرين أمثال ابن بسام في كتابه "تحفة المشتاق"(١)، ومقبل الذكير في تاريخه(٢)، وإبراهيم بن عيسى في تاريخه، ومحمد العلي العبيّد في مخطوطته "النجم اللامع". وكان أول من تصدى لهذا الأمر وحاول جمع تلك

---

(١) لقد استوعب كتاب "تحفة المشتاق" جزءًا لا بأس به من أحداث وقائع البادية بدأها من منتصف القرن التاسع الهجري وما تلاه، وقد شكك البعض في الأحداث التي أوردها ابن بسام في تاريخه لأنه لا يذكر مصادره التي ينقل عنها، كذلك اتفاق أسلوبه في سرد تلك الوقائع، غير أن جزءًا من هذه الأحداث ذكرها المؤرخ إبراهيم بن عيسى في تاريخه، ومع ذلك فهو أيضًا لم يذكر مصدره المباشر في نقل هذه الأحداث. انظر: ورقات غير منشورة من تاريخ الشيخ إبراهيم ابن عيسى، للدكتور أحمد بن عبدالعزيز البسام، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس والثلاثون - شوال ١٤٢٢هـ، ص٢٧٧، وما بعدها.

(٢) مقبل الذكير له تاريخ مخطوط متعدد العناوين.

الأخبار وإصدارها في كتاب مستقل الباحث/ خلف بن حديّد آل مبارك حين أصدر عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، كتابه "من أحداث البدو"، والذي جاء في ١٧١ صفحة، وقد اشتمل الكتاب على أخبار قبائل البادية من عام ٢٠٠ إلى عام ١٣٦٥هـ، وتحدث عن أحداث تلك القبائل داخل الجزيرة العربية وخارجها واعتمد على مصادر مختلفة، ومع ذلك فقد فاته الكثير من الأخبار، إلا أنه يبقى صاحب السبق الأول في هذا المجال. ثم حمل تلك الفكرة الأخ فائز بن موسى البدراني الحربي فأصدر بعد عامين كتابه الموسوم: "من أخبار القبائل في نجد خلال المدة من ٨٥٠ - ١٢٠٠هـ"، وجاء كتابه في طبعته الأولى عام ١٤١٥هـ في٣٥٢ صفحة، ثم طبع في عام ١٤١٦هـ، وجاء في ٢٤٢ صفحة، وقد ابتدأ بما ذكره ابن بسام في كتابه سالف الذكر حيث فرّغ أغلب الأخبار الواردة فيه عن قبائل البادية، ثم ألحق به حوادث القبائل خلال القرن الثالث عشر الهجري في الجزء الثاني، ثم نشره مع الجزء الأول وأصدرهما في كتاب واحد يقع في ٤٠٤ صفحة(٣). وكانت فكرة الكتاب جميلة لو وضع لبحثه خطة واضحة ومنهجًا محكمًا يسير عليه، حتى تتضح حياديته؛ لأن من يتمعن في كتابه يرى - في

---

(٣) نشر المؤلف بحثه عن القبائل في نجد في القرن الثالث عشر الهجري على شكل حلقات في مجلة الدرعية، الأولى في العدد الثاني، ربيع الآخر ١٤١٩هـ، والأخيرة في العدد العشرين، ذي الحجة ١٤٢٣هـ، وكنت قد اطلعت على بعضها، ونشرت تعقيبًا على الحلقة الثالثة، وكانت بداية هذه الدراسة تعقيبًا كتبته على الحلقة الأخيرة التي نشرت في المجلة المذكورة، حيث لحظت أخطاء واضحة لا يمكن تجاهلها، ثم جمع المؤلف تلك المقالات بأخطائها وأصدرها في كتاب مما جعلني أعيد النظر فيه كله وأصدر هذه الدراسة.

رأيي - اضطرابًا في المنهج، وهذا ما سوف أشير إليه في هذه الدراسة، إذ إن المآخذ على كتابه ليست استدراكات وتصويبات فقط؛ بل هي ملحوظات على المنهج.

والحقيقة أني، بعد تتبع مثل هذه الأخبار، ظهر لي من خلال ما قرأته من بعض التواريخ أن هناك العديد من الملحوظات التي رغبت أن أشير إليها لإفادة القارئ الكريم. وقد اجتهدت في تقسيم هذه الملحوظات إلى قسمين.

القسم الأول - الملحوظات العامة.

القسم الثاني - الملحوظات المنهجية.

وأود أن أشير إلى أن التصحيحات والاستدراكات التي وقفت عليها في الكتاب كثيرة، واقتصرت في هذه الدراسة على نماذج منها. وقبل الشروع في ذكر هذه الملحوظات أرى أنه من الانصاف الإشارة إلى إيجابيات الكتاب فأقول ما يلي:

١ - أن الكتاب استوعب قسمًا لا بأس به من أخبار القبائل في نجد.

٢ - استفاد المؤلف من وثائق الدولة السعودية الأولى والثانية والمنشورة في كتاب "من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي..." للدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم.

٣ - أن المؤلف يورد أحيانًا الخبر عن أكثر من مؤرخ.

٤ - شمل الكتاب فهارس فنية شاملة للكتاب وهذا مما يسهل الرجوع إلى المعلومة.

القسم الأول - الملحوظات العامة:

أ - جعل عنوان كتابه: "من أخبار القبائل في نجد خلال المدة ٨٥٠ - ١٣٠٠هـ"، وكتابه يتناول أخبار البادية، ولا أظن أن هذا العنوان صحيح، فكان الأجدر أن يسميه: "من أخبار قبائل البادية في نجد خلال المدة ٨٥٠ - ١٣٠٠هـ". وذلك أن هناك قبائل حاضرة لم يكن لها بادية كقبيلة بني حنيفة، (والتي منها الأسرة المالكة آل سعود)، وبني تميم، وبني زيد، وباهلة، والشثور، وعائذ، وغيرهم.

ومما يدل على أن عنوان الكتاب لا يمثل محتوياته ما ورد في (ص ٧) للمؤلف حيث يقول:" ومن خلال متابعتي لمصادر تاريخنا لاحظت أن تاريخ بادية نجد لم يكن يحظى باهتمام مؤرخينا الذين كانوا كلهم من أبناء الحواضر والقرى النجدية... أما تاريخ البادية والقبائل في نجد فما كان يدونون منه إلا ما كان له علاقة بتلك الحواضر".

وهذا فيه تناقض واضح حيث يذكر في العنوان (أخبار القبائل)، وفي المقدمة يذكر (بادية نجد)، و(تاريخ البادية والقبائل)، مما يدل على أن المؤلف يريد بكتابه أخبار البادية وأحداثها، ولكن لم يوفق في اختيار عنوان مناسب لمحتوى الكتاب.

ب - لم يذكر المؤلف بداية الحدث العظيم الذي نتج عنه قيام الدولة السعودية الأولى، وهو المبايعة التي تمت بين الشيخين والإمامين محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب، وتحالفهما الذي غير مجرى التاريخ في نجد

وما حولها بقبائلها - بادية وحاضرة - وإماراتها ومدنها وأقاليمها(٤).

والغريب أنه ذكر في عام ١٠٨٠هـ خبر استيلاء بني خالد على الأحساء مع أن الخبر ليس من حوادث نجد، وعلل ذكره للخبر بالدور الذي لعبه بنو خالد بعد ذلك فكان الأولى به أن يذكر حدث اتفاق الإمامين؛ إذ هو بداية قيام الدولة وذلك للأمور التالية:

١ - أن الحدث وقع في نجد وخبر استيلاء بني خالد في الأحساء.

٢ - أن تأثير قيام الدولة السعودية الأولى في قبائل نجد أعظم بكثير من قيام دولة بني خالد في الأحساء.

٣ - أن قيام هذا التحالف غيّر موازين القوى القبلية ومشايخها ومسار تاريخها، بينما لم تذكر المصادر التاريخية بروز التغييرات بقيام دولة بني خالد إلا بشكل أقل بكثير.

ج - لم يترجم المؤلف لحكام نجد من أئمة آل سعود أو غيرهم:

فقد خلا كتابه من وجود تراجم لأي حاكم من أئمة آل سعود، الذين كان لهم دور قوي وفعال في صراعات تلك القبائل وتموجاتها، بل وصنع خريطة جديدة لديار تلك القبائل وأماكنها.

---

(٤) ذكر المؤلف (ص١٥٣) قيام الدولة السعودية الأولى ووصف الاتفاق بأنه حدث مهم ولكنه لم يضعه ضمن أخبار كتابه وأحداثه.

والغريب أن المؤلف أفرد أربع صفحات لذكر تراجم أمراء قبيلة بني خالد، حيث ترجم لـ (١٤) حاكمًا منهم (ص٣٥٠-٣٥٤)، وذكر في (ص٧٨) ما يلي: "وقد أوردنا خبر استيلائهم على الأحساء رغم أنه ليس من حوادث نجد القبلية التي هي موضوع هذا الكتاب، وذلك للدور الذي لعبه بني خالد في نجد كما سيأتي ودخولهم مسرح الصراع القبلي والسياسي وتأثيرهم على تغيير ميزان القوى لقبائل نجد... إلخ".

قلت: ليس لي اعتراض على الكلام السابق ولكن مهما وصلت قوة نفوذ حكام بني خالد على تلك القبائل النجدية فلا يقارن بالنفوذ القوي والمركزي لأئمة آل سعود في الدولة السعودية الأولى والثانية (مجال بحث هذا الكتاب)، وكان الواجب على المؤلف إفراد كل إمام من أئمة آل سعود بترجمة وافية كما فعل مع أمراء بني خالد.

د - ذكر المؤلف في (ص١٩) أن مؤلف "تحفة المشتاق" الذي اعتمد المؤلف في أغلب كتابه عليه هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن بسام المتوفى سنة ١٠٤٠هـ، وأن أحد أحفاده - وهو عبدالله بن محمد البسام المتوفى سنة ١٣٤٦هـ - قام بإكمال هذا الكتاب المخطوط وهو "تحفة المشتاق"، ثم أصبح ينقل عن "تحفة المشتاق" ويقول تأليف أحمد بن بسام وعبدالله بن بسام. وهذا غير صحيح؛ وذلك أن صاحب التحفة هو عبدالله بن محمد بن بسام المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، الذي ذكر في مقدمته المؤرخين الذين نقل عنهم تلك المعلومات، وكل تواريخهم معروفة إلا تاريخ أحمد بن بسام. وتاريخ أحمد بن بسام غير "تحفة المشتاق"؛ إذ إن التحفة تبدأ

من عام ٨٥٠هـ، وأما تاريخ أحمد بن بسام فلا يبدأ إلا بعد ١٦٥ عامًا من هذا التاريخ، حيث يبدأ عام ١٠١٥هـ، كما ذكر ذلك حفيده صاحب "تحفة المشتاق"(٥).

ومن الأمور الملفتة أن المؤلف ذكر في (ص٣٧١) نقلاً عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام (صاحب كتاب علماء نجد) نصًّا حول نسب قبيلة الظفير، ولما انتهى من نقله الأول قال ما يلي: "وقال عنهم في تحفة المشتاق".

قلت: يبدو أنه اختلط عليه علماء آل بسام، حيث جعل عضو هيئة كبار العلماء سابقًا الشيخ عبدالله البسام المتوفى سنة ١٤٢٣هـ، مؤلفًا لكتاب "تحفة المشتاق"؟! مع العلم أن مؤلف التحفة هو كما أسلفت عبدالله بن محمد البسام المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، وليس عبدالله بن عبدالرحمن البسام المتوفى سنة ١٤٢٣هـ!!

هـ - انتقاد المؤلف لبعض مؤرخي الحاضرة بأنهم لا يهتمون بأخبار البادية:

ذكر في مقدمته (ص ٧) ما يلي: "ومن خلال متابعتي لمصادر تاريخنا لاحظت أن تاريخ بادية نجد لم يكن يحظى باهتمام مؤرخينا الذين كانوا كلهم من أبناء الحواضر والقرى النجدية فلا غرابة أن يتركز اهتمامهم حول تاريخ تلك الحواضر، مثل تاريخ إنشاء البلدان وتسجيل ما له علاقة بالأحوال السياسية والاجتماعية فيها. أما تاريخ البادية والقبائل في نجد فما كانوا يدونون منه إلا ما كان له علاقة بتلك الحواضر".

---

(٥) انظر: كتاب تحفة المشتاق، تحقيق الأستاذ إبراهيم الخالدي، الكويت: دار المختلف، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢١.

قلت: ليس صحيحًا أن أخبار البادية لم تحظَ باهتمام المؤرخين (أبناء الحواضر والقرى النجدية) - كما يصفهم المؤلف - بل الصحيح ينافي ذلك تمامًا، فأخبار البادية تملأ تلك الكتب وإن كانت تتفاوت من مؤرخ لآخر، فمثلاً ذكر ابن بشر أخبارًا كثيرة ومنها مناخ المربع سنة ١٢٤٩هـ، والذي لم يكن له علاقة بالمدن والحواضر، ولكن ما ذكره ابن بشر لا يقارن بما ذكره ابن بسام صاحب "تحفة المشتاق"، أو ما فصل فيه إبراهيم بن صالح بن عيسى في تواريخه المختلفة، ومحمد العلي العبيّد صاحب" النجم اللامع"، وقل مثل ذلك على تواريخ مقبل الذكير وغيره من المؤرخين. وأنا أستغرب، فإذا لم يكن للمؤرخين اهتمام بأخبار البادية، فمن أين ملأ المؤلف كتابه بكل تلك الأخبار؟ بل إن ما نقله من مؤرخي البادية أنفسهم - الرواة الشفويين - لا يتعدى عدد الأصابع، هذا غير القصائد الشعبية التي تُعد بالمئات وتضاهي قصائد الحاضرة، والتي لم يشترك في تدوينها أحد من أبناء البادية (الصويغ، الربيعي، ابن يحيى، الهطلاني، منديل الفهيد، ... إلخ)، وكل هؤلاء من رواة الحاضرة.

القسم الثاني - الملحوظات المنهجية:

ضعف المنهج العلمي في تحقيق الأحداث التاريخية من خلال القصور في الرجوع إلى المصادر التي تحدثت عن أخبار القبائل في نجد وإغفال الكثير منها، ولقد كان المنهج العلمي الصحيح للمؤلف حينما أراد أن يكتب عن أخبار البادية في منطقة نجد أن يرجع لجميع المصادر التي تحدثت عن تاريخ المنطقة (النجدية وغير النجدية، والأجنبية) ثم

يخرج منها الأخبار المتعلقة بالبادية، وهذا ما يتفق مع عنوان كتابه (أخبار القبائل في نجد).

ولكن حينما نستعرض المصادر التي رجع لها مؤلف الكتاب نجد أن هناك عشرات الكتب التي تحدثت عن تلك القبائل النجدية، ومع ذلك لم يشر لها المؤلف وإنما جعل جل اهتمامه بالمصادر النجدية فقط، ما عدا بعض المصادر القليلة غير النجدية كتاريخ العصامي والدر الفاخر لعبدالهادي بن محمد الطاهر (توفي عام ١١٣٩هـ)، وأغفل كثيرًا من المصادر المخطوطة والمطبوعة، والتي توجد جميعها في دارة الملك عبدالعزيز. ومن المصادر التي لم يرجع إليها، وهي مرتبة حسب المناطق ما يلي:

أ - من المصادر النجدية:

١ - كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، لمؤلف مجهول(٦)؛ تحقيق د. عبدالله العثيمين، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢ - تاريخ ابن لعبون، خزانة التواريخ النجدية، جمع الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ط١، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

٣ - تاريخ ابن عيسى، خزانة التواريخ النجدية، جمع الشيخ عبدالله البسام، ط ١، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

---

(٦) ذكر د. محمد خير البقاعي أن مؤلف هذا الكتاب هو سليمان النجدي. انظر: مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة والثلاثون، ١٤٢٨هـ، ص١٤٤.

٤ – مجموع ابن عيسى، وهو مخطوط متداول بكثرة لدى الباحثين، ويوجد نسخة منه في دارة الملك عبدالعزيز.

٥ – تاريخ ملوك آل سعود، للأمير سعود بن هذلول، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٦ – أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، للشيخ أبي عبدالرحمن الظاهري، ط١، الرياض، دار اليمامة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ب – من تواريخ مكة المكرمة:

٧ – بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، لابن فهد (ت ٩٢٢هـ)، يوجد نسخة منه في مكتبة الحرم المكي برقم ٣٠٤ تاريخ، منها نسخة في دارة الملك عبدالعزيز، (والكتاب مطبوع).

٨ – نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، لجارالله بن فهد (ت ٩٥٤هـ)؛ تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٩ – إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، لمحمد بن علي الطبري (ت ١١٧٣هـ)، الجزء الثالث الذي لا يزال مخطوطًا يوجد نسخة منه في دارة الملك عبدالعزيز برقم٢٨٥م.

١٠ – منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، لعلي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (ت ١١٢٥هـ)، من مطبوعات جامعة أم القرى بمكة.

١١ - تاريخ أشراف مكة، لعبدالله بن عبدالشكور (ت ١٢٥٧هـ)، مخطوط يوجد نسخة منه في دارة الملك عبدالعزيز برقم ٥٦٣.

ج - تواريخ متفرقة مثل:

١٢ - مطالع السعود، لعثمان بن سند الوائلي، تحقيق د. عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسي، بغداد: الدار الوطنية النشر.

١٣ - درر نحور الحور العين، للطف الله جحاف (نشر ما يتعلق بنجد وقبائلها الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - في مجلة العرب، س٢٦، ص٤٣٣، وس٢٩، ص٨٧٣).

١٤ - أصول الخيل العربية الحديثة، لحمد الجاسر، ط١، دار اليمامة، ١٤١٥هـ (ومع أن هذا الكتاب من مصادر المؤلف إلا أنه فاته تسجيل ما فيه من وقائع البادية وهي ليست بالقليلة).

د - من الكتب الأجنبية(٧):

١٥ - تاريخ الدولة السعودية الأولى، لفيلكس مانجان، ترجمة وتعليق د. محمد خير محمود البقاعي، ط١، دارة الملك

---

(٧) من الملحوظ أن بعض هذه الكتب قد عُرِّبَ بعد صدور كتاب (من أخبار القبائل في نجد) إلا أن أصولها الأجنبية موجودة ومتاحة للباحثين، وكان الأولى بالمؤلف أن يستعين بها أو يرجع إليها، خاصة أنه قد استفاد من كتاب دوتي (ترحال في صحراء الجزيرة العربية) فنقل منه في كتابه (مذكرات تاريخية) ما يخص خلف بن ناحل أحد أعلام قبيلة حرب. انظر: مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢٣٧، وما بعدها.

عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، مع أن د. منير العجلاني نقل منه وكتاب العجلاني من مصادر المؤلف.

١٦- وسط الجزيرة العربية وشرقها، لوليم جيفور بالجريف، ترجمة صبري محمد حسن، ط١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.

١٧- نجد الشمالية، رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم، لكارلو غوارماني؛ ترجمته من الإيطالية إلى الإنجليزية السيدة كابيل كيود، تقديم وتعليق دوجلاس كادوثار، لندن، مطبعة أورجونوت، ١٩٣٨م.

١٨- ترحال في صحراء الجزيرة العربية، لتشارلز دوتي، ترجمة صبري محمد حسن، مراجعة وتقديم: جمال زكريا قاسم، ط١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م.

١٩- دليل الخليج، لـ ج.ج. لوريمر، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر، بيروت: دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع[د. ت]، (وهو قسمان: قسم تاريخي يقع في ٧ أجزاء، وآخر جغرافي يقع في ٧ أجزاء أخرى).

٢٠ - اكتشاف جزيرة العرب، لجاكلين بيرين، ترجمة قدري قلعجي، تقديم الشيخ حمد الجاسر، الرياض، منشورات الفاخرية [د. ت].

ومع أني لا أستطيع الشرح بتوسع عن كل الملحوظات المنهجية، إلا أني سأشير هنا إلى عناوينها:

١ - نقله لبعض الأحداث عن مصادر متأخرة مع أنه يوجد من ذكرها من المتقدمين.

٢ - عدم الدقة في نقل الخبر.

٣ - عدم الدقة في نقل نتائج المعارك.

٤ - إهمال أسماء بعض المشاهير والأعلام في بعض المعارك.

٥ - تجاوز عدد من الأخبار والحوادث من المصادر التي نقل منها.

٦ - التناقض في قبول الرواية وردها.

٧ - الاضطراب في تحديد المواضع والتعريف بها.

هذا ما أحببت إيضاحه وأرجو أن أكون قد وفقت بتقديم ملحوظات مفيدة للمؤلف والقارئ الكريم.